

الْقَصِيدَةُ الْهَمَزِيَّةُ

لِنَظْمِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ
حَافِظِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَكَمِيِّ
(رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى)

شَرْحُ مُوجَزِ الْأَحَدِ ثَلَاثِينَ
زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي الْمَدْحَلِيِّ

القصة الهائية

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع: ١٠٣٣٤/٢٠٠٣م

دار المنهاج

٨١ شارع الهدي الحمدي - متفرع من أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة

محمول: ٠١٢٣٩٥٣٣١٧

جمهورية مصر العربية

E-Mail: DarAlmenhag@HotMail.Com

الْقَضِيَّةُ الْمَاءِيَّةُ

لِنَاطِمَا الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ
حَافِظِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ الْحَكَمِيِّ
(رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى)

شَرَحَ مُوَغَزِرُ الْأَعْيُنِ
زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي الْمَدْحَلِيِّ

الْمَدِينَةُ الْحَرَامَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نص أبيات القصيدة الهائية

قال الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي - رحمه الله تعالى -:

وما لي وللدنيا وليست ببغيتي	ولا منتهى قصدي ولست أنا لها
ولست بميال إليها ولا إلى	رئاستها نتنا وقبحا لحالها
هي الدار دار الهم والغم والعنا	سريع تقضيها قريب زوالها
مياسيرها عسر وحزن سرورها	وأرباحها خسر ونقص كمالها
إذا أضحكت أبكت وإن رام وصلها	غبي فيا سرع انقطاع وصلها
فأسأل ربي أن يحول بحوله	وقوته بيني وبين اغتيالها
فيا طالب الدنيا الدنيئة جاهدا	ألا اطلب سواها إنَّها لا وفا لها
فكم قد رأينا من حريص ومشفق	عليها فلم يظفر بها أن يناها
لقد جاء في آي الحديد ويونس	وفي الكهف إيضاح بضرب مثالها
وفي آل عمران وسورة فاطر	وفي غافر قد جاء تبيان حالها



القصيدة الهائية

وفي سورة الأحقاف أعظم واعظ
لقد نظروا قوم بعين بصيرة
أولئك أهل الله حقًا وحزبه
ومال إليها آخرون لجهلهم
أولئك قوم آثروها فأعقبوا
فقل للذين استعذبوها رويدكم
ليلهوا ويغترون بها ما بدا لهم
ويوم توفى كل نفس بكسبها
وتأخذ إما باليمين كتابها
ويبدو لديها ما أسرت وأعلنت
بأيدي الكرام الكاتبين مسطر
هنالك تدري ربها وخسارها
فإن تك من أهل السعادة والتقى
تفوز بجنات النعيم وحوورها
وترزق مما تشتهي من نعيمها
وإن لهم يوم المزيد لموعداً

وكم من حديث موجب لاعتزالها
إليها فلم تغررهم باختيالها
لهم جنة الفردوس إرثاً وياها
فلما اطمأنوا أرشقتهم نباها
بها الخزي في الأخرى وذاقوا وبها
سينقلب السم النقيع زلاها
متى تبلغ الحلقوم تصرم حباها
تود فداء لو بنيتها وماها
إذا أحسنت أو ضد ذا بشمالها
وما قدمت من قولها وفعالها
فلم يغن عنها عذرها وجدالها
وإذ ذاك تلقى ما إليه مآها
فإن لها الحسنى بحسن فعالها
وتحبر في روضاتها وظلالها
وتشرب من تسنيمها وزلالها
زيادة زلفى غيرهم لا يناها



لقد طال ما بالدمع كان ابتلاها
 فيزداد من ذاك التجلي جماها
 ودار خلود لم يخافوا زوالها
 وتطرد الأتھار بين خلاها
 كما قال فيها ربنا واصفاً لها
 ظواهرها لا منتهى لجماها
 ونار جحيم ما أشد نكالها
 غواش ومن يحموم ساء ظلالها
 حميماً به الأمعاء كان انحلالها
 خروج ولا موت كما لا فنا لها
 لتكسب أو فلتكتسب ما بدا لها
 فتنجو كفافاً لا عليها ولا لها

وجوه إلى وجه الإله نواظر
 تجلّى لها الرب الرحيم مسلماً
 بمقعد صدق هذا الجار ربهم
 فواكهها ممّا تلذ عيونهم
 على سرر موضونة ثم فرشهم
 بطائنها إستبرق كيف ظنكم
 وإن تكن الأخرى فويل وحسرة
 لهم تحتهم منها مهاد وفوقهم
 طعامهم الغسلين فيها وإن سقوا
 أمانيتهم فيها الهلاك وما لهم
 محلين قل للنفس ليس سواهما
 فطوبى لنفس جوزت وتخفت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد عثرت أنا وبعض الأخوة الكرام من طلبة العلم في هذه الأيام على قصيدة مخطوطة موضوعها "الترغيب والترهيب"، هذه القصيدة التي سأقدمها بين يدي القراء الكرام هي لفضيلة العالم العامل، والزاهد الورع، صاحب التصانيف الكثيرة، والأعمال الخيرة المنيرة، الشيخ/ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي المولود عام ١٣٤٢هـ، والمتوفى في شهر ذي الحجة عام ١٣٧٧هـ، بمكة المكرمة - رحمه الله وأكرم مثواه -.

وحيثما كررت قراءتها، شاقني ما تحمله من معان عظيمة، وما تتصف به من تنسيق عجيب في موضوع الترغيب والترهيب، فأحببت أن أشرحها شرحاً موجزاً بقدر الطاقة، وعلى حسب



الاستطاعة، وذلك لينظم خير إلى خير، فيعظم الأجر ويعمّ النفع،
وتكمل الفائدة، وبالفعل حصل لي بعض ما قصدت في وقت
قصير، وعمل سهل يسير، وذلك بفضل الله العلي الكبير.
وما توفيقنا إلا بالله هو مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

كتبه الفقير إلى الله
زيد بن محمد بن هادي المدخلي

في ١/٤/١٣٩٣هـ



قال - رحمه الله تعالى -:

ن: وما لي وللدنيا وليست ببغيتي ولا منتهى قصدي ولست أنا لها
ولست بميال إليها ولا إلى رئاستها نتنا وقبحا لحالها

الشرح:

إذا أمعنت النظر في هذين البيتين تبين لك بوضوح حال الشيخ وموقفه من هذه الحياة الدنيوية الحقيرة، ومدى فهمه العميق لها ولأحوالها، فهي في نظره ونظر كل عاقل وسيلة من الوسائل وليست غاية من الغايات، وهي مطية العبد إلى دار البقاء والخلود، يجدُّ فيها ويجتهد، ويسارع إلى صالح الأعمال وأحسن الأفعال والأقوال، كي يفوز برضا ربه وجنة عرضها السموات والأرض، فقد أمر الله بذلك حيث قال - تبارك وتعالى -: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿[آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].



ولا شك أن الأعمال الصالحة هي الوسيلة التي تقرب العبد إلى ربه كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبا: ٣٧].

فليست الدنيا غاية المسلم، ولا منتهى قصده، ولا مطرح أمله، لأن الإنسان لم يخلق لجمع حطامها، ولا للمنافسة فيها للحصول على حطامها ولا للركون إليها، إذ لا يركن إليها إلا مغرور، ولا يفتن بزخرفها إلا مفتون ولا يحرص على العلو فيها والتمتع بجاهها ومناصبها من أجل الدعة والسكون إلا من أخلد إلى الأرض واتبع هواه وكان أمره فرطاً.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

وما يعطاه الإنسان في هذه الحياة من الأموال والأولاد فهو متاع وزينة، وفي نفس الوقت ابتلاء واختبار وفتنة، قال تعالى: ﴿الْمَالُ



وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥].

ن: هي الدار دار الهم والغم والعنا	سريع تقضيها قريب زوالها
مياسيرها عسر وحزن سرورها	وأرباحها خسر ونقص كماها
إذا أضحكت أبكت وإن رام	غبي فيا سرع انقطاع وصاها

الشرح:

وفي هذه الأبيات الثلاثة تتضح لنا حقيقة هذه الحياة الدنيوية المنغصة، وإن العبد معرض فيها لإصابة الهموم والغموم والعناء والنصب والامتحان، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾



﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْغَفُورُ﴾ [المك: ١-٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: من الآية ٧].

فهذه الآيات وما في معناها: تدل بصراحة ووضوح أن هذه
الدار هي دار الامتحان والابتلاء، وعمّا قريب ستفنى وتزول،
ومادام الأمر هكذا فلا يجوز الركون إليها لامتناع الخلود فيها فهي
جديرة بقوله - رحمه الله -:

ن: مياسيرها عسر وحزن سرورها	وأرباحها خسر ونقص كمالها
إذا أضحكت أبكت وإن رام وصلها	غبي فيا سرع انقطاع وصلها

الشرح:

أي أن هذه الدار هي دار الأحزان والخسران، ودار الانقطاع
والنقصان، إذا ضحك الإنسان فيها وقتاً قصيراً، بكى فيها دهرًا
طويلاً، وإذا ظفر فيها بربح صفقة دنيوية، خسر فيها أرباحاً
أخروية، وإن شمر عن ساعد الجد ليجمع حطامها، وضحى بحياته
الطيبة لينال كمالها، فإنه سينقل منها في ساعات قريبة، وعلى غرّة
وغفلة منه عجيبة، فينقطع الوصال بين العاشق ومعشوقته، وتنقسم



العلائق بين الخاطب ومخطوبته، فإننا لله وإنا إليه راجعون.
ن: فأسأل ربي أن يحول بحوله وقوته بيني وبين اغتيالها

الشرح:

لَمَّا بين الشيخ - رحمه الله - موقفه من هذه الحياة، ووضَّح
للقرءاء الكرام حقيقتها كما نطق كتاب الله، رفع يديه متضرعاً إلى
الله وسائلاً إياه بإلحاح أن يجعل بينه وبين شهوات الدنيا حاجزاً
منيعاً وحصناً حصيناً، لئلا تتسلط عليه فتكون سبباً قوياً في هلاكه
وشقائه، ذلك لأن العبد إذا أطاع النفس الأمارة بالسوء، الميالة إلى
الهوى، المحبة للشهوات، أوردته شر الموارد، وأوقعته في مواطن
المهلكات والدركات، وأما إذا كانت مطمئنة فسيصل صاحبها
- بفضل الله ورحمته - إلى مصاف الصالحين في دار السعادة واليمن
والبركات.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ
الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ
الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

لهذا وغيره دعا الشيخ ربه أن يقيه شرور الدنيا، فاستجاب
الله دعاءه كما وعد في قوله - تبارك وتعالى - : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي



أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿[غافر: من الآية ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].
وليعلم الداعي علم اليقين أن دعاءه مستجاب، فإما أن يعجل له المطلوب في الدنيا، وإما أن يصرف عنه به سوءاً ومكروهاً، وإما أن يدخره له إلى يوم القيامة حينما يكون في أشد الحاجة وأمسها إلى مضاعفة الحسنات وتكفير السيئات ما لم يكن ذلك الدعاء بمأثم أو بقطيعة رحم.

وجدير بنا أن نرفع أيدينا قائلين:

"اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا"^(١).

(١) أخرجه الترمذي (٥٢٨/٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠٦/٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٤٤٢/٣).



ن: فيا طالب الدنيا الدنيئة جاهداً ألا اطلب سواها إنَّها لا وفا لها
فكم قد رأينا من حريص ومشفق عليها فلم يظفر بها أن يناها

الشرح:

في هذين البيتين وصية ثمينة، ونصيحة غالية لكل مسلم ومسلمة، لئلا يغتروا بالدنيا الحقيرة الفانية، ويؤثروها على الآخرة الباقية، فإن الدنيا غرور، ومتاع قليل، ودار ممر ومعبر، قد ملئت بالأحزان والمصائب والآلام، فما أضحكت إلا وأبكت، ولا أفرحت إلا وأحزنت، نهايتها ضعف وشيبة، وآخر شبابها هرم وسقم، وعقبى حياتها مرض وهلاك، فهي ظل زائل، وجميع ما فيها عارية مستردة.

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

فيا أخي المسلم: إن داراً هذا واقعها، وتلك أوصافها، يجب أن يكون العبد منها على حذر، ويعتبر نفسه فيها غريباً مسافراً، فقد وصى رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- بقوله: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٨/٥).



وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيم علم»^(١).

فيا لها من وصايا هادفة من نبي ناصح أمين: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: من الآية ١٢٨].
وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لسقمتك، ومن حياتك لموتك"^(٢).

ثم رغب الشيخ - رحمه الله - في طلب الآخرة والسعي لها نصحاً منه وتوجيهاً فما أعظمه من نصح وما أقومه من توجيه

(١) أخرجه الترمذي (٦١٢/٤)، وأورده أبو يعلى في مسنده (١٧٨/٩)، والمعجم الكبير للطبراني (٨/١٠)، وصححه الألباني في المشكاة (١٤٣٥/٣)، وقال: حديث صحيح لشواهده، والسلسلة الصحيحة (٦٢٩/٢).

(٢) أورده الطبراني في المعجم الكبير (٤١٧/١٢)، وابن رجب في جامع العلوم والحاكم (٣٨٤/١)، وحلية الأولياء (٣١٢/١)، وصفوة الصفوة (٥٨٠/١)، وكشف الخفاء (٨٥/١).



القصيدة الهائية

استمدهما من قوله تعالى: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: من الآية ٩١].

ومن قوله عليه الصلاة والسلام: «الدين النصيحة - ثلاثاً - قلنا: لمن يا رسول الله. قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

ولاشك أن الترغيب في الآخرة والعمل لها قد حث عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا﴾ ١٨ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ٧٤ ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ

(١) أخرجه البخاري (٣٠/١)، ومسلم في (٧٤/١) من حديث تميم الداري بهذا اللفظ.



الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ [طه: ٧٤-٧٦].

إلى غير ذلك من النصوص القرآنية التي تحثنا على أن نكون
من أبناء الآخرة وأن نقدم أعمالاً صالحة مرضية، وأقوالاً صادقة
سديدة، ومعتقدات صحيحة جليلة ترضي خالقنا وبارئنا، وتقربنا
إليه زلفى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب
سليم.

ومما هو جدير بالبيان أن كثيراً من الخلق قد بالغوا في الحرص
على جمع حطام هذه الحياة الفانية، ونبذوا الأعمال الصالحة
وراءهم ظهرياً، جهلاً منهم وتجاهلاً ؛ بيد أنهم لم يظفروا بالبقاء
فيها إلا وقتاً قصيراً، ولم يتمتعوا ببلذاتها إلا زمناً يسيراً، فقد نزل
بهم بغتة ما ليس في الحساب، وانتزع أرواحهم من أجسادهم
مفرق الأحبة والإخوان، وتتابع عليهم سياط العذاب ولعائن
الرحمن، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ
يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا
قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١].

وانتقلوا إلى دار برزخية فأصبحوا مرتين بأعمالهم في حفر



مظلمات، نارها تتلظى، والعذاب فيها شديد، كما قال تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

ن: لقد جاء في آي الحديد ويونس وفي الكهف إيضاح بضرب مثالها وفي آل عمران وسورة فاطر وفي غافر قد جاء تبيان حالها وفي سورة الأحقاف أعظم واعظ وكم من حديث موجب لاعتزالها

الشرح:

الآيات التي يشير إليها الناظم - رحمه الله - في هذه الآيات الثلاثة، سأوضحها حسب ترتيبها في نظم الآيات، وسأبين الغرض الأساسي الذي سبقت من أجله في نظمها القرآني، فإن وفقت فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإن قصر بي الفهم، فأستغفر الله.

فالأية الأولى: في سورة الحديد ونصها: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].



والآية الثانية: في سورة يونس ونصها: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

والآية الثالثة: في سورة الكهف ونصها: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

فإن هذه الآيات الثلاث وما في معناها تصور لنا بدقة ووضوح، قصر هذه الحياة إذ إنها كمثال نبات الأرض الناتج عن نزول الأمطار، فيزهو ذلكم النبات ويتزعزع ويأخذ نصيباً وافراً من الزينة، وعما قريب يكون مصفراً ملتوياً، ثم حطاماً متفتتاً تذرّوه الرياح يمناً ويسرة، كل ذلك في وقت قصير، وزمن يسير.

والآية الرابعة والخامسة: في آل عمران ونصهما: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٨٥]، ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۖ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].



والآية السادسة: في سورة فاطر ونصها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

والآية السابعة: في سورة غافر وهي: إخباره تعالى عن نصيحة مؤمن آل فرعون ونصها: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

وأما الآية الثامنة: ففي سورة الأحقاف ونصها: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: من الآية ٣٥].

وهذه الآيات كسابقاتها، فهي تبين لنا مقدار الحياة الدنيا وقصرها، وأن مصيرها إلى الفناء والزوال.

وأما الأحاديث التي أشار إليها الناظم بقوله: "وكم من حديث موجب لاعتزالها" فساذكر نموذجاً منها:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال: «إِنْ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يَفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٥٣٢/٢)، ومسلم (٧٢٨/٢).



٢- وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء»^(١).

٣- عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعة هذه- وأشار يحيى بالسبابة- في اليم فلينظر بم يرجع»^(٢).

٤- عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-: «أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسوق والناس كنفته فمر بجدي أسك^(٣) ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به. قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال رسول الله ﷺ: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم تالي»^(٤).

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعس عبد الدينار

(١) أخرجه مسلم (٢٠٩٨/٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٩٣/٤).

(٣) أسك: صغير الأذن.

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٧٢/٤).



والدرهم والخميسة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض»^(١).

٦- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك موطئاً فقال: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»^(٢).

فيجب على العاقل أن يزرع في دنياه صالح العمل، كي يجني أينع الثمر في دار الجزاء والبقاء التي لا نهاية لها ولا انقطاع لنعيمها.

ن: لقد نظروا قوم بعين بصيرة	إليها فلم تغررهم باختياها
أولئك أهل الله حقاً وحزبه	لهم جنة الفردوس إرثاً وياها
ومال إليها آخرون لجهلهم	فلما اطمأنوا أرشقتهم نباها
أولئك قوم آثروها فأعقبوا	بها الحزى في الأخرى وذاقوا وبها

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٤/٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٨٨/٤)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/٢)

(١٣٧٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٩٤/٢)، والبخاري

(٣٣٨/٤).



الشرح:

هذه الأبيات الأربعة تبين لنا بإيضاح أقسام الخلق من حيث العمل والمصير:

فالقسم الأول: خلق من خلق الله سبقت لهم من الله الحسنى، وكتبت لهم السعادة، فوفقوا للتمييز بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والغي والرشد، والضار والنافع، فاختاروا لأنفسهم أحسن الطرق، وارتضوا لها أقوم المناهج، فعملوا بطاعة الله على نور من الله يرجون ثواب الله، تركوا معصية الله على برهان من الله يخافون عقاب الله، فهم العقلاء والغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، ويصلحون ما أفسد الناس.

وهم أولياء الله حقاً الذين قال فيهم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وهم حزب الرحمن صدقاً الذين قال فيهم: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: من الآية ٢٢].

وهم أهل الثبات والاستقامة الذين مدحهم ربهم بقوله: ﴿إِنَّ



الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وهم أهل الله وعباده: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٣٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٣٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٣٦﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٦].

فهذه صفات القوم، وتلك أعمالهم، وجزاؤهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من الخلق، ولا يفوتنا أن نقول دائماً: "اللهم لا تحرمنا خير ما عندك من الفضل والإحسان بشر ما عندنا من التقصير والعصيان".

وأما القسم الثاني: فهم الذين كتب عليهم الشقاء في الأزل، ذلك لأنهم ليسوا للخير أهلاً، ولا للصالح موضعاً، قوم لم يمتثلوا لله أمراً، ولم يجتنبوا له نهياً، ولم يقبلوا من أنبيائه ورسله توجيهاً



ونصحًا، قوم ضعفت عقولهم

وسفهت نفوسهم، فلم يميزوا بين حق وباطل، ولا بين ضار
ونافع، يتجرعون على المعاصي، ويتنكبون الطاعات، لأنهم آثروا
الدنيا وقدموها، وركنوا إليها وعظموها، وغرثهم بزخرفها وجمالها
فانصاعوا إليها وكرموها، فهم في غيهم يعمهون، وفي ريهم يترددون
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ن: فقل للذين استعذبوها رويدكم سينقلب السم النقيع زلاها
ليلها ويغثروا بها ما بدا لهم متى تبلغ الحلقوم تصرم حبالها

الشرح:

هذا الخطاب موجه من الناظم -رحمه الله- إلى كل عاقل
عرف حقيقة هذه الحياة الدنيا، وعرف الأمر العظيم الذي خلقه
الله من أجله، أن يقول بصراحة للتائبين المغرورين المستعذبين
للذات الدنيا وشهواتها: على مهلكم، فإن ما تتمتعون به من
ماكل، ومشارب، وملابس، ومناكح، ومساكن سينقلب سماً نقيعاً
ووبالاً فظيماً، لأن الجزاء من جنس العمل، وكما يدين المرء يدان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا



تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ [محمد: ١٢].

وليعلم المغرور علم اليقين أنه سيفارق هذه الحياة، وستنقطع العلائق المزيفة بينه وبينها، وذلك إذا بلغت الروح الحلقوم، والأخلاء قيام ينظرون، ورب العزة أقرب إليه منهم ولكن لا يبصرون.

ن: ويوم توفي كل نفس بكسبها	تود فداء لو بنيتها وماها
وتأخذ إما باليمين كتابها	إذا أحسنت أو ضد ذا بشماها
ويبدو لديها ما أسرت وأعلنت	وما قدمت من قولها وفعالها

الشرح:

يشير الناظم - رحمه الله تعالى - بقوله: "ويوم توفي كل نفس بكسبها.... إلخ" إلى يوم القيامة الذي تكرر ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ذلك اليوم الذي ترجع فيه الخلائق إلى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

ذلك اليوم الذي ستكون فيه الأهوال المزعجة، والشدائد المذهلة، والكروب العظام البالغة.

● يوم عظيم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع فيه



كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد.

● يوم يعرض فيه الظالم على يديه ويقول: يا ليتني اتخذت مع
الرسول سبيلاً.

● يوم تنفطر فيه السماء، وتكور الشمس، وتنكدر النجوم،
وتسير الجبال، وتحشر الوحوش، وتسجر البحار.

● يوم يصدر فيه الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، فمن يعمل
مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

● يوم يحشر فيه المتقون إلى الرحمن وفداً، ويساق المجرمون
إلى جهنم ورداً، لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً.

● يوم تنسف فيه الجبال نسفاً، فتكون قاعاً صفصفاً، لا ترى
فيها عوجاً ولا أمثاً، يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت
الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً.

● يوم يحشر فيه المعرض عن الذكر أعمى فيقول: رب لم
حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً، قال: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى.

● يوم عصيب تنصب فيه الموازين لوزن الأعمال والعاملين



القصيدة الهائية

قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿[الأعراف: ٨، ٩] .

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الانباء: ٤٧).

- يوم عسير على الكافرين غير يسير، يفر فيه المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه.
- يوم لا يجزي فيه والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً.

- يوم عظيم يقوم الناس فيه لرب العالمين.
 - يوم لا تقبل فيه الفدية ممن يريد أن يفتدي.
- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ



وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿الرعد: ١٨﴾.

وقال تعالى: ﴿يُبْصِرُوهُمْ يُورِدُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ
بِئْسَ ۝ ١١ وَصَاحِبَتُهُ وَأَخِيهِ ۝ ١٢ وَفَصِيلَتُهُ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۝ ١٣ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج: ١١-١٤].

● يوم يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور.

● يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد، حفاة
عراة غرلاً، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، أبصارهم شاخصة
إلى السماء قد دنت الشمس من رءوسهم قدر ميل أو ميلين،
وألجمهم العرق، واشتد بهم الكرب، وينزل الرب تعالى لفصل
القضاء بين الخلائق فأخذ كتابه بيمينه إلى الجنة، وأخذ كتابه
بشماله إلى النار وبئس القرار.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ
حِسَابًا يَسِيرًا ۝ ٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ ٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝ ١١ وَيَصْلَى سَعِيرًا ۝ ١٢ إِنَّهُ كَانَ
فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ ١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۝ ١٤ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ
بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-١٥].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا



كِتَابِيَّة ① إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّة ② فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ
 ③ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ④ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ⑤ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
 أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ⑥ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا
 لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّة ⑦ وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَّة ⑧ يَا لَيْتَهَا كَانَتْ
 الْقَاضِيَةَ ⑨ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّة ⑩ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّة ⑪ خَذُوهُ
 فَعْلُوهُ ⑫ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ⑬ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا
 فَاسْلُكُوهُ ⑭ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ⑮ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى
 طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿[الحاقة: ١٩-٣٤].﴾

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ①﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ
 حَسِيبًا ﴿[الإسراء: ١٣، ١٤].﴾

فترى كل نفس ما أحضرت، ويظهر لها ما قدمت وأخرت،
 لا تفقد منه فتيلًا ولا قطميرًا، بل وجدوا ما عملوا حاضراً ولا
 يظلم ربك أحداً.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا
 عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ①﴾ [آل عمران: من الآية ٣٠].

وحيث لا يجدي الجحد والإنكار، ولا يقبل الجدل ولا ينفع



الاعتذار.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: من الآية ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٢٠) وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩-٢١].

وفي معنى ما تقدم قال الناظم -رحمه الله-:

ن: بأيدي الكرام الكاتبين مُسَطَّرٌ فلم يغن عنها عذرهما وجدالها

الشرح:

المعنى أن الله -تبارك وتعالى- قد وكل بالعباد ملائكة كراماً كاتبين يعلمون ما يفعلون، مهمتهم كتابة الحسنات والسيئات.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

فمهما أوتي العبد من قوة في الجدل، ومهما بلغ من غاية في البيان، فإنه سيقف أمام مولاه كئيب النفس حيران، ما لم يحالفه التوفيق من ربه الكريم الرحمن.



ن : هنالك تدري ربجها وخسارها
فإن تك من أهل السعادة والتقى
تفوز بجنات النعيم وحوورها
وترزق مما تشتهي من نعيمها
وإن لهم يوم المزيد لموعداً
وجوه إلى وجه الإله نواظر
تجلى لها الرب الرحيم مُسلماً
بمقعد صدق هذا الجار ربهم
فواكهها مما تلذ عيونهم
على سرر موضونة ثم فرشهم
بطائنهم إستبرق كيف ظنكم

وإذ ذاك تلقى ما إليه مآها
فإن لها الحسنى بحسن فعالها
وتحبر في روضاتها وظلالها
وتشرب من تسنيمها وزلالها
زيادة زلقى غيرهم لا ينالها
لقد طال ما بالدمع كان ابتلاها
فيزداد من ذاك التجلي جمالها
ودار خلود لم يخافوا زوالها
وتطرد الأتهار بين خلالها
كما قال فيها ربنا واصفاً لها
ظواهرها لا منتهى لجمالها

الشرح:

هذه الأبيات كما يرى القارئ أن بعضها مرتبط ببعض من حيث الدلالة على المعنى، ومما لاشك فيه عند كل مسلم أن العبد سيتضح له يوم القيامة ما له، وينكشف عنه غطاؤه، وتبرز أمامه أقواله وأفعاله، فإن كان من أهل السعادة والتقى -أي: أنه قد



سلك طريق النجاة بفعل الطاعات وترك السيئات - فإنه ينال رضا ربه والجنات، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت: من الآية ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: من الآية ٣١].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى، ثم ذكر الناظم - رحمه الله تعالى - ما أعده الله لعباده المتقين من النعيم المقيم والفوز العظيم بقوله:

"تفوز بجنات النعيم وحورها"

إلى آخر الأبيات في هذا المعنى، والذي أملاه الناظم في هذا المعنى قد دلت عليه آيات قرآنية كثيرة، وأحاديث نبوية صحيحة، وسأذكر نموذجاً من تلك الآيات والأحاديث.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا



خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٢٥﴾.

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [الرعد: من الآية ٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ اَدْخُلُوها بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢].



وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكئون﴾ [يس: ٥٥، ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيَّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٣٩-٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾



وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿غافر: ٨، ٩﴾.

وقال - جل وعلا-: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨-٧١].

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: من الآية ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ غُرُبًا أَثَرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٨].



وقال -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْشُورًا ۚ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ۚ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۚ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ١٩-٢٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۚ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۚ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۚ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۚ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٦].

إلى غير ذلك من الآيات التي ذكر الله فيها وصف الجنات المهيئات لمن بذل جهوده في فعل الخيرات وعمل الصالحات.

وقد وصفها رسول الله ﷺ وصفًا بليغًا، ورغب فيها ترغيبًا يبعث على الجد في صالح العمل فقال ﷺ قال الله تعالى: «ثم أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر



على قلب بشر»^(١).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها»^(٢).

وقال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله»^(٣)، وغير ذلك كثير.

ثم ذكر الناظم -رحمه الله- أن لأهل الجنة يوماً يجتمعون فيه يسمى "يوم المزيد"، حيث يتمتعون بالنظر إلى وجه ربهم الكريم على اختلاف منازلهم في الجنة، وهذا مقطوع بصحته وحقيقته عند أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: من الآية ٢٦].

وقال -جل وعلا-: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وفي صحيح مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل

(١) أخرجه البخاري (١١٨٥/٣) و (١٧٩٤/٤) و (٢٧٢٣/٦)، ومسلم (٤/٢١٧٤، ٢١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٥٩/٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٠٠/٦).



أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل الله موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار!! قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر - يعني: إليه - ولا أقر لأعينهم»^(١).

وفي الدعاء المأثور: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة»^(٢).

فهذه النصوص وما في معناها: تدل بصراحة أن المؤمنين يوم القيامة وفي الجنة يتمتعون بالنظر إلى ربهم، فيعتبرون ذلك فوق كل نعيم نالوه، وأعظم من كل متاع أعطوه، فسبحانه من رب رحيم، رحم عباده المؤمنين، وأكرمهم بقربه وجواره، وآتاهم من الفضل والإنعام ما لم يؤت أحداً من العالمين، فله الفضل والمنة، وله الثناء الجميل الحسن.

(١) أخرجه مسلم (١٦٣/١)، وابن ماجه (٦٧/١)، واللفظ له.

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٠٥/٥)، والحاكم في المستدرک (٧٠٥/١)، والنسائي

(٥٤/٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٨٠/١).



القصيدة الهائية

ويطيب لي أن أورد هنا أبياتاً من منظومة "السبل السوية"^(١) لناظم هذه القصيدة -غفر الله له- لما لها من الصلة القوية بما سبق ذكره آنفاً، إذ إنها في وصف الجنة وأهلها، قال -رحمه الله تعالى- في باب الورع والزهد والرقاق.

وانقسم الخلق إلى قسمين	وما لهم مأوى سوى الدارين
فأولياء ربنا بداره	فازوا بدار الخلد في جواره
دار بها ما ليس عين قد رأت	كلا ولا أذن به قد سمعت
ولا درى قلب به ولا خطر	قط ببال أحد من البشر
بناؤها من فضة ومن ذهب	ليس بها من صخب ولا وصب
ملاطها كان بمسك أذفر	حصابؤها من لؤلؤ وجوهر
تراثها من زعفران وبها	ما لا يعد قدره من البها
في غرف مبنية ظهورها	تحكي البطون دائم حورها
في درجات بعد ما بين السما	والأرض والفردوس أعلاها سما
منها انفجار أنهر الجنان	وسقفها العرش بلا نكران
فيدخلون أولاً على زمر	أول زمرة على ضوء القمر

(١) انظرها ضمن شرحها المسمى "الأفنان الندية" لشارح القصيدة (ج ٦ / ٣٧١).



جردًا مكحلين مردًا حسنة
 لا ذلة ترهقها أو قسرة
 أما ثمانون فمن ذي الأمة
 وفرش مرفوعة عليه
 لهم مجامر من الألوة
 قلب امرئ من كل حقد قد خلا
 أضاءت الدنيا به أو ظفره
 إستبرق فيها وخضر السندس
 تضيء للؤلؤة الأكوان
 جارية تحتهم الأنهار
 شبه ما تثمر بالقلال
 فيها ولحم طائر مما اشتهاوا
 والسلسبيل نزل الرحيم
 كأنهن اللؤلؤ المكنون
 ما قصه الرحمن في القرآن
 له ثمانون ألفًا خدم

أبنا ثلاث وثلاثين سنة
 وجوههم من السرور مسفرة
 صفوفهم عشرون بعد المائة
 في عيشة راضية مرضيه
 آنية من ذهب وفضة
 رشحهم المسك قلوبهم على
 لو واحد منهم بدا أساوره
 لهم من الحرير أعلى ملبس
 عليهم من لؤلؤ تيجان
 بلا انقطاع رزقهم مدار
 في فنن ممدودة الظلال
 طعامهم من كل لون فكهاوا
 شرابهم فيها من التسنيم
 أزواجهم حور حسان عين
 قد أخذوا فيها من الولدان
 أدناهم ولا دين فيهمو



زوج من خيراتِها الحسان
 في قبة اللؤلؤ والزبرجد
 فيها له مُلك مَنْ الدنيا ملك
 لكنما موضع سوط فيها
 أما الذي أعلاهم في المنزلة
 في غرف تنظر كالدري
 أخفى لهم من قرّة الأعين ما
 وإن فوق كل ذا النعيم
 يوم المزيد موعد الزيادة
 فقربت فيها إليهم نجب
 منابر النور ومن زبرجد
 ينصبها للأولياء والشهدا
 على كثيب المسك والكافور لا
 أبرز عرشه لهم رب السماء
 يروونه كما يرون الشمس في
 هناك عن كل النعيم اشتغلوا

سبعين حوراء تلا اثنتان
 تنصب دون الشهر لم تحدد
 وعشرة أمثاله بدون شك
 خير من الدنيا وما عليها
 فذاك غير الله لا واصف له
 في الأفق الشرقي أو الغربي
 ليس سوى الله به قد علما
 رؤيتهم لربنا الكريم
 يدعوا إلى زيارة عباده
 إليه فوقها صفوفاً ركبوا
 ولؤلؤ وفضة وعسجد
 وبعدهم يجلس باقي السعدا
 يرون أصحاب الكراسي أفضلا
 ثم تجلّى جهرة مسلما
 ظهيرة صحواً بلا تكلف
 وكل ما هم فيه عنه ذهلوا



يقول ما اشتهيتموه فاسألوا
حتى بهم تقصر الأمانى
وأثحفوا بأجزل الإكرام
لسوق جنة به ما تشتهي
فما أرادوا أخذوا لم يصرفوا
وينشئ الله لهم سحابة
وانقلبوا منها إلى أهليهم
ليس بها لغو ولا تأثيم
فيها خلود غير إخراج ولا
أعطيكمو وما لديّ أفضل
وقد أحلوا أكبر الرضوان
وانصرفوا بإذن ذي الإنعام
أنفسهم من كل ملتذ به
شيئاً بها إذ قبل ذا قد أسلفوا
يمطرهم كواعباً أتراباً
وقد تضاعف البهاء فيهم
عليهم من ربهم تسليم
تفنى ولا ييغون عنها حولا

انتهى ما أردت نقله في هذا المقام وبالله التوفيق.

ن: وإن تكن الأخرى فويل وحسرة
لهم تحتهم منها مهاد وفوقهم
طعامهم الغسلين فيها وإن سقوا
أمانهم فيها الهلاك وما لهم
ونار جحيم ما أشد نكالها
غواش ومن يحموم ساء ظلالها
حميماً به الأمعاء كان انحلالها
خروج ولا موت كما لا فنا لها

الشرح:

وضع هذه الأبيات الأربعة بعد الأبيات السابقة في غاية المناسبة



القصيدة الهائية

فقد مشى الناظم -رحمه الله- على قاعدة الجمع بين الترغيب والترهيب، وهذه طريقة القرآن الكريم كي يكون العبد راغباً راهباً، راغباً فيما عند الله من الثواب العظيم، وخائفاً مما عنده من العذاب الأليم.

ولهذا قال -رحمه الله-:

وإن تكن الأخرى فويل وحسرة ونار جحيم ما أشد نكالها

أي: وإن كان العبد من أهل الشقاوة -والعياذ بالله- فله الويل والحسرة، والويل روي أنه "واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره"^(١)، وقد توعد الله -تبارك وتعالى- بويل أصنافاً من المجرمين.

فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾  يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُثْلَىٰ عَلَيْهِ

(١) رواه ابن حبان (٥٠٨/١٦)، والحاكم في المستدرک (٥٥١/٢)، وضعفه

الألباني في ضعيف الجامع الصغير (ص ٨٨٧).



ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿[الجاثية: ٧، ٨].
وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ
يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣].
وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾
[الهمزة: ١-٢].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧]. إلى
غير ذلك من الآيات.

وكما لأهل الشقاوة ويل فعليهم حسرة ولهم جحيم، ما أعظم
عذابها.

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ
اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَكْالًا وَجَحِيمًا ﴿١٣﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ



وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿[المزمل: ١٢، ١٣].

فأهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون، بل يدعون على أنفسهم بالويل والثبور، ويعضون أناملهم حسرة وندامة.

ندم البغاة ولات الساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه ومحتم
ثم ذكر الناظم -رحمه الله- مآكل أهل النار ومشربهم ومقرهم
وبئس المآكل والمشرب وساء المأوى والمقر فقال:

لهم تحتهم منها مهاد وفوقهم غواش ومن يحموم ساء ظلالها
إلى آخر الأبيات.

وهذه الصفات والجزاءات التي أوردها الناظم -رحمه الله- قد تناولتها
آيات قرآنية سأذكر بعضها فيما يلي:

قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ
ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ [الزمر: من الآية ١٦].

وقال -جل وعلا-: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾
فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.



كما يقول -تقدس ذكره-: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾
[محمد: من الآية ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
غَسْلِينٍ ٣٦ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٧].
وغير ذلك كثير.

ذلك متاع أهل النار، وتلك حالاتهم، فبئس المتاع وساءت
الحال، وجوههم مسودة وباسرة، تظن أن يفعل بها فاقرة،
وأدبارهم مصفوعة ومضروبة، وأبصارهم خاشعة ذليلة، كلامهم
فيها البكاء والعويل، وديدنهم الحاجة والخصام، وأمانيتهم فيها
الموت والهلاك.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمُ
مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: من الآية ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ ٢٤ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾
[القيامة: ٢٤، ٢٥].

وقال تبارك تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد:
من الآية ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ



القصيدة الهائية

وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾
وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ومن الآية ٣٧].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيًّا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨].
وقال -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنتُمْ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٨].

فهم في عذاب دائم لا يقضى عليهم فيها فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها فيستريحوا، إذ لا فناء لها، ولا منتهى لجحيمها وأنكالها، أعادنا الله وجميع المسلمين من عذابها، ووقانا وإياهم حرها وحميمها.



وحرصاً على الكمال وحصول الفائدة، فأحب أن أنقل أبياتاً من منظومة "السبل السوية" لناظم هذه القصيدة، ذلك لأن المقام يليق بإيرادها.

قال - رحمه الله - في وصف النار وأهلها:

هذا وإن الأشقيا لفي سقر	ألا فسأت المقام والمقر
يؤتى بها في موقف القيام	سبعون آلف من الزمام
زمت بها كل زمام في يد	سبعين ألف ملك مؤيد
إن زفرت ثم رمت بالشر	جثا لذاك كل من بالخر
ثلاثة الآلاف عاماً أضمرت	حتى غدت مسودة فأظلمت
لو تسقط الصخرة من شفيرها	سبعون عاماً لم تصل لقرها
أما الذين كتبوا من أهلها	أعني بهم من خلقوا لأجلها
فهم خلود أبد الآباد لا	حياة لا موت فسأت نزلا
مهادهم من تحتهم جحيم	يصب من فوقهم الحميم
قوتهم الضريع والزقوم	وبئس ظل لهم اليعموم
يسقون فيها من حميم آن	على كالليب من النيران
يشوي الوجوه والجلود يصهر	ويقطع الأمعاء حين يقطر
فهم على الوجوه يسحبونا	فيها وفي الجحيم يسجرونا



بهم ملأ لك غلاظ وكلوا
 غلت نواصيهم إلى الأقدام
 يهوون في أمدها المديد
 سبعون عامًا لهم أنكال
 يقلبون الدهر في سعيها
 وكلما راموا خروجًا منها
 جلودهم تبدل فيها كلما
 أدناهمو في ألم من نعلا
 فكيف حال من عليه تؤصد
 وفي جهنم الكفور يعظم
 لكن عصاة من أولي التوحيد
 فيها يجازون بقدر ما جنوا
 ويدخلون جنة النعيم
 وقضي الأمر وكل استقر
 وإن ترد تبيان ذا مستكملا
 فدونك اطنبها من القرآن

وفي سلاسل الجحيم سلسلوا
 وفي مزيد هم من الآلام
 لم ينتهوا لقعرها البعيد
 مقامع الحديد والأغلال
 بين سمومها وزمهريرها
 فيها أعيدوا لا محيص عنها
 تنضج عادت ليزقوا الألما
 نعلين منهما دماغه غلا
 يهبط تارة وأخرى يصعد
 جدًّا ليزداد عليه الألم
 قد يدخلونها بلا تأيد
 ثم ينجون بما قد آمنوا
 برحمة المهيمن الرحيم
 بداره وذاك حصد ما يذر
 موضحًا مبينًا مفصلاً
 والسنن الصالح والحسان

وبعد: أيها المسلم الناصح لنفسه والجاهد لها لتفوز وتسعد،



إنك إذا قرأت هذه الأبحاث نشرًا ونظمًا، وتدبرت ما أوردناه لك في هذه الرسالة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والفوائد الجليلة، اتضحت لك طريق الحسنى، واندفعت نفسك وجوارحك إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، وانبرت أمامك حقيقة الزهد في هذه الحياة.

وما العون والتوفيق إلا من الله عليه توكلنا، وهو حسبنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير.

ن: محلين قل للنفس ليس سواهما لتكسب أو فلتكتسب ما بدا لها
فطوبى لنفس جوزت وتخففت فتنجو كفافاً لا عليها ولا لها

الشرح:

أي: أن للنفس في الدار الآخرة أحد محلين، إذ إن من عوقب من عصاة الموحدين بدخول النار فإنه يخرج منها إلى الجنة كما أثبت ذلك النصوص الصحيحة.

(أ) إما دار نعيم وخلود وبقاء، إذا هي تزكت وتطهرت من دنس الشرك بالله وأوضار المعاصي، وتحصنت بفعل الخيرات وعمل الصالحات، واعتصمت بحبل الله، واطمأنت بذكر الله، وفوضت الأمر كله لله.



القصيدة الهائية

(ب) وإما دار جحيم وبلاء وشقاء، إذا هي تعدت حدود الله، وأعرضت عن ذكر الله، وتكبرت عن قبول الحق، وكذبت من دعاها، وآمنت بالجبب والطاغوت، وكفرت ببارئها ومولاها، وأخلدت إلى الأرض واتبعت هواها، وآثرت الدنيا الفانية على الآخرة الباقية، فذاقت وبال أمرها وجزاها.

فتباً لها ما أخسرها وأشقاها، وويلاً لها ما أجدرها بعذاب الله وأحراها، وبعداً لنفس خسرت دنياها وأخراها، وهلاكاً لها ثم هلاكاً ما أصبرها على النار إذ تصلاها.

وطوبى لنفس راقبت مولاها فلم يفقدها حيث أمرها، ولم يبصرها

حيث حرم عليها ونهاها.

وطوبى لنفس صدقت بكلمة الإخلاص وتمسكت بعراها.

وطوبى لنفس اعتبرت دنياها وسيلة لأخراها.

وطوبى لنفس تحلت بمكارم الأخلاق فأكرم بمن طهرها وزكاها.

وطوبى لنفس توجت بتاج القناعة والعفة، واستجابت لداعي

الهدى إذ دعاها.



وطوبى لنفس تفكرت في خلقها ومصيرها فقل ضحكها وكثر
بكائها.

وطوبى لنفس ذكرت ربها خالية ففاضت بالدمع عيناها.
وطوبى لنفس ترفعت عن فعل القبيح فلم يضرها شيطانها
وهواها.

وطوبى لنفس حفظت ربها فحفظها ووفقها وهداها.
وطوبى لنفس نجت من عذاب الله فرضي عنها ربها وأرضاها.
فطوبى لها - ثم طوبى - ما أبرها بالله وأتقاها.
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
والحمد لله رب العالمين.

مَجْمُوعَةُ رِسَالَاتِكُمْ

فَقَدْ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ وَنَعُوتُ الدَّاعِيَةِ
الْبَحْثُ الْوَجْهِي فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ الْغَرِيزِ
كَلِمَةُ حَقِّ حَيَالِ حَدَثِ تَحْدِي بِهِ صَانِعُودِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَقِيمُ الْمُسْلِمِينَ
تَدْوِينُ ثَلَاثَةِ أَسْئَلَةٍ مُهِمَّةٍ رَجَوْنَا بِالْإِجَابَةِ عَلَيْهَا الْمَشُوبَةَ وَنَفْعَ الْأُمَّةِ

بِإِثْف
فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي الْمَدْحَلِيِّ

تَقْرِيطُ
الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ
عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الْفَقِيهِ

الْمَدِينَةُ الْحَرَامَةُ

القصة الهائية

لما طرأ الشيخ العارضة

حافظ بن أحمد بن علي الجمالي

(توفي في سنة ١٠٠٠ هـ)

بشرح مؤيد الله المصنف

ترتيب محمد بن حمادي المدخلي

دار الكتب